مقدمة ابن خلدون

للأستاذ محمود أبو ريه

كنا نسمر فى إحدى الليالى مع الأستاذ الكبير صاحب الرسالة ، فكان من حديثه الممتع الهادىء أن العلامة المحقق ساطع الحصرى قد ألف كتاباً فريداً جعل موضوعه « دراسات عن مقدمة ابن خلدون » تلك التى لم تخرج القرائح العربية مثلها ، وفى عبارات عذبة أنشأ الأستاذ الزيات يشيد بفضل هذا العمل الطريف . وقد أثار هذا الحديث المستوعب شوقنا إلى هذا الكتاب ، وزاد هذا الشوق لما قرأنا اليوم مقدمته النفيسة فى الرسالة

ولما كان العلامة الحصرى قد حدثنا فى كتابه « إن جميع طبعات المقدمة التى صدرت عن مطابع القاهرة وبيروت مشوبة بنواقص كثيرة وأغلاط فادحة — وإنها ناقصة — من حيث المتون والفصول معاً » فإنى أنشر كلمة لها علاقة بما حققه هذا العالم الجليل وفيها نفع لمن أراد أن يقف على تاريخ هذه المقدمة

فى صيف سنة ١٩٢٣ قرأت باحدى المجلات كلمة لأحمد تيمور باشا رحمه الله ذكر فيها أن كل طبعات مقدمة ابن خلدون لا تطابق الأصل الصحيح منها ، وإنه يوجد بمكتبة زكى باشا نسخة خطية من هذه المقدمة صححها المؤلف بقلمه فسررت بهذا النبأ وتوجهت باستفهام إلى زكى باشا على جريدة المحروسة عما نشره تيمور باشا ، وكان ذلك فى ١٧ أغسطس سنة ١٩٢٣ فأجاب رحمه الله ببضع مقالات على هذه الجريدة تكلم فيها عن طرف من تاريخ ابن خلدون ومقدمته . وأنا لا أعرض إلا لما قاله عن هذه المقدمة النفيسة ، وفيه العلاج لما نحن بسبيل الكلام فيه اليوم .

ذكر رحمه الله أن هذه المقدمة الفريدة قد ظل أمرها مهملاً خمسة قرون كاملة ، فقد تم تأليفها فى سنة ٧٧٥ هـ ، ولم تظهر إلا فى سنة ١٢٧٤ هـ : سنة ١٨٥٧ م[1] . وكان أول من عثر على هذا الكنز رجل نمساوى اسمه آسرلي ، فقد وقف فى دار كتب (زيانة) عاصمة النمسا على نسخة مخطوطة من هذه المقدمة ، نقل كثيراً من فصولها ، وترجمها إلى اللغة الطليانية ، ثم نشرها مع بعض ملاحظات وتعليقات فى المجلة المعروفة باسم الخزانة الطليانية فكانت أبحاثه مدعاة لتنبيه علماء أوربة إلى العناية بهذا الأثر العربى الكريم « ولما جاء المسيو آسرلى إلى مصر تفضلاً لدولته لدى محمد على باشا كان مما عمله أن حض محمد على باشا على الانتفاع بهذا الكتاب وطبعه فترجم إلى اللغة التركية وطبع بمطبعة بولاق وكذلك طبع الأصل العربى منها

وفى الوقت الذى طبعت فيه المقدمة فى مصر كان العلامة كترمير الفرنساوى يطبعها فى باريس وقد طبعت هذه المقدمة بالمطبعة الأميرية طبعة ثانية فى سنة ١٢٨٤ هـ

وقد ذكر زكى باشا « إنه بعد ما تحقق وجود المسخ والبتر والتشويه والتحريف فى جمع ما صدر من الطبعات العربية لمقدمة ابن خلدون آلى على نفسه أن يبحث عن نسخة خطية تكون وافية بالمرام حتى قيض الله له الظفر بها فى خزانة المرحوم عاطف افندى بالقسطنطنية » . وهذه النسخة قد صححها ابن خلدون بقلمه ، وذلك أنه لما عاد إلى القاهرة من عند تيمورلنك طاغية التتار رأى الناسخين قد شوهوا محاسن مقدمة تاريخه ، فضاقت نفسه وتناول نسخة من التى أصابها المسخ وأقبل عليها بنفسه وتولى تصحيحها بقلمه ، وكان من هذا التصحيح أن حذف بعض الكلمات وطائفة من العبارات ووضع هوامش كثيرة بخطه . فإذا أعوزه المكان أضاف (طيارة) أى جزازة ويلصقها بين الصفحتين ويدل على موضعها دلالة ظاهرة واضحة ، وقد انتقلت هذه النسخة من مصر إلى الآستانة على أثر سقوط مصر بين يدى السلطان سليم سنة ٩٢٢ هـ ، وقد عثر عليها زكى باشا فى سنة ١٩١٠ ولم يلبث أن أخذ صورتها الفتوغرافية وبلغ ما أنفقه

(١) فى كتاب الأستاذ عنان أن ذلك كان فى سنة ١٨٥٨ م
(أبو ريه)